الحداثة بين دعاتها وخصومها

إعداد

الباحثة الأستاذة نجوى علي غريب

وزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة

المسمى الوظيفي: اختصاصي دعم فني للغة العربية

القسم: إدارة العليات المدرسية

ملخص البحث

تناول البحث قضية الصراع والجدل القائم بين دعاة الحداثة وخصومها منذ ظهورها في عشرينات هذا القرن حتى الآن، وقد استُهلَّ البحث بمجموعة من التساؤلات حول هذا الموضوع، كما تم تحديد الأهداف التي يسعى إليها، وأبرزها: تحليل مواقف كل من دعاة الحداثة وخصومها، واستشراف الحداثة التي نحتاجها.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على البحث والتحليل والمقارنة كأداة لتحديد مفهوم دقيق للحداثة وجذورها لدى العرب، وكيفية تعاملهم معها، مع تحليل رؤية كلّ من دعاتها وخصومها لهذا المفهوم، وكيفية تعاملهم معه، بالإضافة إلى النظرة التوفيقية التي طرحها بعض المفكرين العرب الداعية إلى تحقيق حداثة عربية مؤثِّرة تستلهم من التراث العريق أحسن ما فيه، وتكون منطلقًا لإبداع قرائح مفكرينا وأدبائنا بالحديث الجديد الملائم لقيم ديننا، ولطبيعة عصرنا الحالي.

ومن أبرز النتائج التي خلص إليها البحث: أن عدم وضوح مفهوم الحداثة لدى الكثير من المثقفين العرب وأدبائهم من مؤيديها ومعارضيها– كان السبب وراء السجالات التي أشعلت النار بين دعاتها وخصومها، كما أن غياب الأسس الموضوعية لأفكار التقدم والعقلانية والتنوير لنشوء الحداثة عند الغرب أدى إلى تخبط الحداثي العربي نفسه، وعدم قدرته على تحديد هويته، بالإضافة إلى أن أزمة الحداثة لم تكن أزمة تلقي نتيجة الهوة الواسعة بين المتلقي والمبدع كما قيل، وإنما هي أزمة غموض وغرابة غلبت على إنتاج الحداثيين.

الكلمات الدلالية: الحداثة، المعاصرة، التحديث، دعاة الحداثة، خصوم الحداثة.

ABSTRACT

The research discussed the issue of conflict and controversy between advocates and opponents of modernism Since their appearance in the twenties of this century so far .The research started with a group of questions regarding this subject and its goals were determined, the most important one of these goals is the analysis of both modernism's advocates' and opponents' stands and predict the modernism we need. The research relied on The descriptive method that's based on search and analysis and comparison was used as an analysis and comparison tool to determine the precise concept of modernism and its roots among Arabs and how they deal with it. Alongside an analysis of the vision of both its advocates and opponents towards this concept and how they deal with it ,in addition to the conciliatory view provided by some of the Arab thinkers who call for achieving an effective Arabic modernism which is inspired by the best of ancient heritage, and become a starting point for the creativity of our intellectuals and writers with the new speech that fits our religion's values and our current age's nature .Some of the most important results is that the lack of clarity of modernism's definition to a lot of arab intellectuals and writers both advocates and opponents was the reason behind the arguments between these two parties ,plus the absence of objective bases of rationality , progression and enlightenment ideas for modernism's emergence in the west led to the flounder of the Arabic modernists themselves ,and loss of their ability to identify themselves ,in addition ,the crisis of modernism was not a reception crisis as a result of the wide gap between the recipient and the creator as told ,but in fact ,it is a mystery and strangeness crisis which dominated the modernists' production

المقدمة:

إنَّ التغيير كان- ولا يزال- سمة الحياة الإنسانية منذ فجر التاريخ، والسجل التاريخي لحضارات الشعوب يشهد عبر أحداثه ووقائعه أن تغيُّر أنظمة الحياة يحدث تغييرًا في أنظمة الأدب؛ لأن الأدب صورة من صور الوجه الحضاري والثقافي للأمم والشعوب، وإن كانت المسألة نسبية نوعًا ما، ولكن المتعارف عليه أنَّ التحولات الجذرية في حياة المجتمعات الإنسانية تطال مختلف مجالات الحياة، ومن ضمنها الأدب، وهذا ما حدث لأوربا في العصر الحديث، فقد كانت التيارات الثقافية والفكرية التي شهدتها الحضارة الأوربية الحديثة من أبرز العوامل التي أسهمت في تغيير التوجُّهات الفكرية والثقافية العالمية بغضِّ النظر أكانت هذه التيارات خيِّرة بمجملها، وتَحمل قِيم الحق والخير والجمال أم لا؟

وظاهرة الحداثة اليوم تعدُّ من أكثر الظواهر والتيارات التي أحدثت جدلًا ليس عند العرب فقط، وإنما عند مَن أنتجها وأفرزها للعالم، وأعني بذلك الغرب، فقد كانت الحداثة تجسيدًا لمرحلة تاريخيةٍ حضارية شكَّلتها عوامل وتحولات فكرية وفلسفية واقتصادية واجتماعية، وقد انبثقت هذه المرحلة من مراحل سابقة من التاريخ الثقافي والاجتماعي للمجتمع الغربي، ولكن ما تميَّز به هذا المصطلح أنَّه حمل القطيعة بين التراث والتيارات الحديثة في الأدب والفن، ودعا إلى عوالم فنية مجهولة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:

- كيف نظرنا نحن العرب إلى الحداثة، ومن أيِّ طريق دخلناها وتعاملنا معها؟

وهذا السؤال يقودنا لتساؤلات أخرى مفادها:

- هل استوردنا الحداثة كما نستورد أيَّ شيء مصنوع من الغرب دون إدراك حقيقي لمسيرتها التاريخية أو للفلسفة التي أنتجتها؟

- أكانت طوفانًا أَتَى على كلِّ شيء أم أنها اصطدمت بجدران وحواجز وعوائق؟

أسئلة كثيرة تتبادر إلى الذهن، وتبحث عن إجابة شافية، وفي البحث عنها يمكن أن

تتكشف لنا الحقيقة التي تكون سبيلنا إلى حداثة فعلية مؤثِّرة ومجددِّة تنتشلنا مما نحن فيه من تأخُّر عن الرَّكب الحضاري الذي حملنا سابقًا لواءه، وقُدنا مسيرته، وامتلكنا ناصيته... هذا ما أريد مناقشته وسبر أغواره من خلال هذا البحث على أمل الوصول إلى الإجابة الشافية عن الأسئلة المطروحة بالبحث والتحليل والمقارنة.

مشكلة البحث:

لكلِّ عصر همومه ومشاكله وقضاياه، وهذه حقيقة يقرُّ بها الجميع، ولا أكون مبالغة إذا قلت: إنَّ ظاهرة (الحداثة) تُعَدُّ مِن أكثر المشكلات احتدامًا ليس على الساحة الأدبية والفنية فحسب، بل تمتد لتطال مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها في عصرنا الراهن، ونظرًا لما تشهده الساحة الأدبية بشكل عام والشعرية منها بشكل خاص من سجال بين داعٍ للحداثة ومؤيدٍ لها ومعارضٍ رافضٍ لكلِّ توجُّهاتها وقع اختياري على هذه المشكلة لتسليط الضوء على مفهومها، وظروف نشأتها، وتحليل أبعادها من خلال إبراز آراء كلٍّ من الفريقين وحججه نحوها؛ لأصل إلى جوهر المشكلة، والكشف عن أسبابها، فتشخيص الداء يمكِّن من وصف الدواء، ولعل ذلك يكون سبيلنا للتوصل إلى فهمٍ صحيح لمفهوم الحداثة يقوم على أُسس منطقية وعلمية بعيدة عن الميول والأهواء والتحيُّز لطرف دون الآخر؛ لنخطو بذلك خطوة إيجابية وفاعلة نحو حداثة مؤثِّرة لا هادمة أو مأزومة تقودنا لمستقبل أفضل، وتُنهي الصراع القائم بين دعاتها وخصومها.

لقد جاء البحث ليكشف عن جوهر مفهوم الحداثة بعد الاطلاع على ما جاء حولها على لسان دعاتها وخصومها لبيان الصورة الصحيحة للحداثة التي يجب على الحداثيين الأخذ بها لإلغاء الجدل الدائر حولها.

أسئلة البحث:

حاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما المقصود بالحداثة لغةً واصطلاحًا؟ وهل كان عدم وضوح مفهوم الحداثة لدى معظم الحداثيين العرب، ولا أقول: كلهم- وراء بناء جدران الشكِّ والجدل الدائر بين دعاتها وخصومها من جهة وعدم قدرة الحداثيين على تحقيقها من جهة أخرى؟

٢- ما الظروف التي رافقت نشأة الحداثة عند كلٍّ من الغرب والعرب؟

٣ - مَن أبرز مَن دعا للحداثة؟ ومَن أبرز مَن عارضها؟

٤- ما الذي جعل الأدباء والمفكِّرين العرب ينقسمون إلى تيارين متناقضين في موقفهم من الحداثة، ويحوِّلون ساحة الأدب والشِّعر إلى حلبة صراع بين مؤيد مدافع عنها ومعارض محارب لها؟

٥- ماذا يجب على الحداثيين العرب أن يفعلوا ليكونوا مجدِّدين فاعلين ومؤثِّرين لا العكس؟

أهداف البحث:

١- توضيح مفهوم الحداثة اللغوي والاصطلاحي.

٢- بيان الظروف التي رافقت نشأة الحداثة عند الغرب والعرب.

٣- التعرف إلى آراء دعاتها وخصومها، وتحليل هذه الآراء للوقوف على أسباب التناقض والاختلاف.

٤- بيان أسباب الهجوم عليها ومعارضتها.

٥- استشراف المفهوم الإيجابي للحداثة التي نحتاجها والسبيل إليها.

أهمية البحث:

يتضح مما ورد في مقدمة البحث أن مفهوم الحداثة عند العرب لا يزال غائمًا ملتبسًا، ونتيجة لعدم وضوح هذا المفهوم لدى الكثيرين حدث السجال المحتدم بين مؤيديها ومعارضيها من جانب، وبُنيت السدود والحواجِز بين الأديب والقارئ من جانب آخر، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنّ الاختلاف والتعارض ظهر بين دعاتها أنفسهم، وهذا ما جعل الحداثي (أدونيس) يؤكد على خطأ فهم العربي لحداثة الغرب؛ لأنه لم ينظر إليها في ضوء ارتباطها العضوي بالحضارة الغربية وبأسسها العقلانية؛ إن نظرة الحداثيين العرب قد اقتصرت على منجزات الإبداع الأدبي والفني بوصفها (أبنية وتوصيفات شكلية)، دون وعي الأسس النظرية والعقلانية وراءها، ومِن هنا غابت دلالتها العميقة في الكتابة والحياة على حدٍّ سواء(١).

مصطلحات البحث:

- الحداثة:

الحداثة لغةً: هي مصدر الفعل (حَدَث)، وهي أول الأمر وابتداؤه، ويقال: أخذ الأمر بحداثته، أي: بأوله وابتدائه، وتعني: نقيض القديم(٢).

الحداثة اصطلاحًا: اتجاه فكري جديد، وثورة كاملة على كل ما كان، وما هو كائن في المجتمع، وهي بهذا المعنى رؤية كونية لا تَنحصر في أبعاد محددة، بل تتجاوزها إلى الرفض والاختلاف، وهذا يشير إلى أن معنى هذا المصطلح يقوم على مفهوم المغايرة والمعارضة لكل ما هو تقليدي ونمطي.

(١) أدونيس، أحمد علي سعيد (١٩٩٣)، **النص القرآني وآفاق الكتابة**، ط١، بيروت، دار الآداب،ص٩٤- ٩٥.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، مادة (حدث).

– التحديث:

التحديث لغةً: التجديد.

التحديث اصطلاحًا: يعني إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه الزمن.

– دعاة لغة: دعا إلى الأمر: حثَّ على اعتقاده، نادى به، فهو داعٍ، وجمعه: دعاة[١].

دعاة الحداثة اصطلاحًا: جماعة من الأدباء والمفكرين والمثقفين العرب؛ منهم الشاعر، ومنهم الناقد، ومنهم الكاتب، بدأ ظهورهم منذ عشرينات هذا القرن؛ في العالمين العربي والإسلامي، وقد لجأوا إلى منطق شبيه بالمنطق الأمريكي في تقسيم العالم الذي يقول: «مَن ليس معنا فهو ضدنا»، فالناس عند الحداثيين العرب أحد صنفين لا ثالث لهما: «حداثي مستنير، أو رجعي جاهل»[٢]، وحداثتهم قامت على التبعية المطلقة للغرب، واللهاث وراء أفكاره ومبادئه بحجة المعاصرة.

وتقوم نظرة الحداثيين العرب إلى اللغة على أساس الربط بينها وبين الفكر، فيعتبرون تحرير اللغة سبيلًا إلى تحرير الفكر، لهذا نجد عندهم دعوات لهدم بنية التعبير في اللغة العربية وإعادة بنائها من جديد، كما دعوا إلى ترك الموروث القديم بكل ما فيه.

خصوم لغة: الخَصْمُ: مجادل، منازع، مخاصم، عكسه حليف أو صديق، وقد يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع، وجمعها: خُصوم[٣].

خصوم الحداثة اصطلاحًا: جمهور المفكرين والمثقفين العرب المحافظين الذين وجدوا في منطلقات الحداثة ومبادئها هدمًا للدين، وتقويضًا للموروث، وإفسادًا للأخلاق، وانتهاكًا للقيم، فانبروا لمواجهة دعاة الحداثة في عصرنا الحالي، ووجدوا في منطلقات وآراء الحداثيين

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر،، مادة (دعا).

(٢) حمودة، **المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)**، سلسلة عالم المعرفة، أبريل ١٩٩٨، ص١٦.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر،، مادة (خصم).

مروقًا وفسادًا دفع بعضهم لوصف الحداثيين بالانحراف، وذهبوا إلى أبعد من ذلك في رفض الحداثة والحداثيين بقولهم: «لقد كانت الحداثة وصمة في جبين الأدب العربي».

حدود البحث:

الحدود المكانية: يقتصر البحث على قضية من قضايا الشعر العربي المعاصر تتعلق بالحداثة.

الحدود الزمانية: يتناول البحث قضية الصراع والجدل القائم بين دعاة الحداثة وخصومها منذ ظهورها في عشرينات هذا القرن حتى الآن.

الحدود الموضوعية: موضوع البحث: هو قضية الصراع والجدل القائم بين دعاة الحداثة وخصومها، والذي تحول إلى ما يُشبه المعركة.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل مفهوم الحداثة، وظروف نشأتها، وأبعاد الصراع والجدل الدائر بين دعاتها وخصومها.

أدوات البحث:

البحث والتحليل والمقارنة هي الأدوات التي اعتمد عليها البحث لتحليل أبعاد الرؤى التي تعامل بها كلٌّ مِن دعاة الحداثة وخصومها مع هذا المفهوم، ومن خلال هذه الأدوات تمَّ الكشف عن أصحاب النظرة التوفيقية التي تدعو لتحقيق حداثة عربية مؤثِّرة وفاعلة، وكانت هذه النظرة ركيزة ودعامة للنتائج والتوصيات التي خرج بها البحثُ.

الدراسات السابقة:

هناك جملة من الدراسات السابقة التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا أو غير مباشر بموضوع البحث، أردت أن أستعرضها بغية رسم شبكة بحثية تزودنا بالمعلومات التي تُغطي بعض جوانب الدراسة المطروحة، وتكون عونًا للوصول إلى نتائج مفيدة في مجال البحث، وتحديد

مساره، **ويمكن تصنيف هذه الدراسات وفق ما يأتي:**

أ – دراسات دَعَت للأخذ بالحداثة بصورتها الغربية، وهي:

– الحداثة في الشعر (١٩٨٢م)، سلمى الخضراء الجيوسي، مجلة فصول، العدد ١.

– الملامح الفكرية للحداثة (١٩٨٤م)، خالدة سعيد، مجلة فصول، العدد ٣.

– فاتحة لنهايات القرن (١٩٨٠م)، أدونيس، بيروت، دار العودة.

ب – دراسات هاجم أصحابها الحداثة، ودعوا للعزوف عنها، وهي:

– كمال نشأت يكشف انحرافات شعراء الحداثة، عرض عمرو محمود، موقع إخوان أون لاين EN.

– الحداثة، مُحَمَّد مسعد زياد، موقع (اللغة العربية لغة القرآن) EN.

ج– دراسات أبرزت تناقضات الحداثة، وحاولت الوصول إلى نظرة توفيقية لتحقيق حداثة عربية مؤثِّرة وفاعلة، وهي:

– تناقضات الحداثة العربية، دراسة للدكتور كريم الوائلي، الصفحات الشخصية د. كريم الوائلي EN.

– ناموس ما بعد الحداثة، مجلة الرافد، العدد ٨٣.

– الحداثة في الخطاب النقدي (٢٠٠٤م)، عبد الغني بارا، مجلة فصول، العدد٦١.

– العرب والحداثة، د. عبد الإله بلقزيز، مجلة المعرفة، العدد ٤٨٥.

– قضايا الشعر المعاصر د. عز الدِّين إسماعيل، القاهرة، دار الفكر.

لقد تمَّ تصنيف الدراسات السابقة وفق ثلاثة أطر، دراسات أخذ أصحابها بالحداثة ودعوا إليها بصورتها الغربية معارضين القديم والسائد النمطي في واقعهم العربي؛ لأنهم وجدوا فيها السبيل لتجاوز هذا الواقع بكل ما فيه كما هو الحال عند خالدة سعيد وأدونيس وسلمى الخضراء الجيوسي، وهناك مَن وقف ضد الحداثة وهاجم دعاتها، كما هو الحال عند

د. كمال نشأت، ود. مسعد زياد، ومنهم من أبرز تناقضاتها وتساءل فيما إذا كان ما نعيشه اليوم إرهاصات الحداثة، وأن الحداثة العربية لم تأت بعدُ، كما جاء في دراسة د. كريم الوائلي وغيره ممن ذُكروا.

ومن هنا سيكون منطلق البحث، وسيكون البدء بتحديد مفهوم الحداثة وظروف نشأتها، وما دار حولها فيما بعد من إشكاليات بين الدعاة والخصوم؛ لنصل فيما بعد إلى الحداثة بمفهومها الإيجابي الصحيح الذي يحمل التجديد الحقيقي، ويترجم الإبداع ترجمة ترتقي بالإنجاز الأدبي إلى المستوى المنشود على صعيد المبدعين في إبداعهم والمتلقين في تأثير هذا الإبداع عليهم.

مفهوم الحداثة:

حين تتولَّد المشكلات وتختلف الرؤى والاتجاهات يجد المرء نفسه مدعوًا إلى البحث والاطلاع والتنقيب؛ لكي يصل إلى حلٍّ يتناغم مع قوة المنطق بالحجة والبرهان، وليس بالتعصب والانسياق وراء الأوهام؛ ليعيش أحداث عصره، ويتفاعل معها، وتعدُّ ظاهرة (الحداثة) وما دار حولها من إشكاليات من أكثر القضايا المعاصرة التي أثارت جدلًا كبيرًا كاد يصل إلى معركة حقيقية، ولخوض غمار الحديث عن الحداثة وما رافق ظهورها من إشكاليات لا بدَّ من تحديد مفهومها لغةً واصطلاحًا؛ لأن تحديد هذا المفهوم نفسه اختُلف عليه عند الغرب قبل العرب، فها هو مالكوم براد بيري يؤكد «أنَّ هذه التسمية تحتوي على الكثير من ظلال المعنى الذي لا تنجح في استخدامه بصورة دقيقة»[(١)].

وقد تفاوت الدارسون العرب في تحديدهم لمفهوم الحداثة وماهيتها؛ لما لها من خصوصية من الناحية اللغوية من جهة، وللصعوبة في تحديد دلالتها الاصطلاحية من جهة ثانية.

فالحداثة لغةً: هي مصدر الفعل (حَدَث)، وهي أول الأمر وابتداؤه، كما مَرَّ معنا في تعريف الحداثة لغة في مصطلحات البحث، ويقال: أخذ الأمر بحداثته، أي: بأوله وابتدائه،

(١) بري، مالكوم براد، **الحداثة**، ترجمة: مؤيد فوزي حسين، حلب (١٩٩٥)، مركز الإنماء الحضاري،

وتعني: نقيض القديم، فهي من الناحية اللغوية تستدعي معارضها أو نقيضها، إذ لا يقال: حدث إلا مع قَدُمَ، وإن فاعلية نقيضها تُسهم في تحديد ماهيتها.

أمَّا من الناحية الاصطلاحية، فيبدو هذا المصطلح عند الروائي عبد الرحمن منيف «من أكثر المصطلحات خلافيةً بسبب عدم تحدُّد معناه بدقة، وعدم معرفة أسباب وظروف نشأته، وبسبب عزله عن سياقه التاريخي، وطغيان إحدى دلالاته الجزئية على المفهوم»[(١)]، وللوقوف على ذلك أبدأ بما قاله د. مُحَمَّد خضر عريف في كتابه «الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة»، يقول: «هناك خلط بين مصطلح الحداثة (modernism) والمعاصرة (modernity)، والتحديث (modernization)، وجميع تلك المصطلحات كثيرًا ما تُترجم إلى (الحداثة) على الرغم من اختلافها شكلًا ومضمونًا وفلسفةً، والواقع أن الاتجاه الفكري السليم يتفق مع التحديث، ولكنه لا يتفق مع الحداثة، كما يقول، وإن يكن مصطلحا (modernity) و(modernization) يمكن الجمع بينهما ليعنيا المعاصرة أو التجديد.

أمَّا مصطلح (modernism) فإنه يختلف عنهما تمامًا، فالمصطلح الأول (modernity) يعني: إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه الزمن.

أما الاصطلاح الثاني فهو (modernism) ويعني مذهبًا أدبيًّا، بل نظرية لا تستهدف الحركة الإبداعية وحدها، بل تدعو إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية...

وهو المصطلح الذي انتقل إلى أدبنا العربي الحديث، وليس مصطلح (modernity) الذي يجدر بنا أن نُسَمِّيه المعاصرة والتجديد بوجه عام دون الارتباط بنظرية ترتبط بمفاهيم وفلسفات متداخلة ومتشابكة»[(٢)].

(١) سلطان، نبيل، **فتنة السرد والنقد**، اللاذقية، دار الحوار، (١٩٩٤م)، ص ٥٢.

(٢) عريف، مُحَمَّد خضر، **الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة**، ص ١١- ١٢.

ويبدو أنَّ عباس محمود العقاد كان أول من عني بدلالة الحداثة والمعاصرة في أوائل القرن العشرين حيث رفض ما توهَّمه الشعراء الإحيائيون من أنَّ الحداثة تعني وصف المخترعات الحديثة في أشعارهم وآدابهم، ذلك أن الوصف فعل عقلي يسقط فيه الشاعر رؤاه الذهنية على سطح الأشياء الكائنة في الخارج، ويتبنى العقاد التعبير عن تجربة انفعالية متخلِّقة في أعماق الشاعر، ولذلك تتحقَّق الحداثة عندما يشعر الشاعر أنَّ له شيئًا يقوله، ويستحق هذا الشيء أن يقال، وإن الشاعر الذي يصف الطائرة ليس بالضرورة شاعرًا عصريًّا، والذي يصف الجمل ليس شاعرًا قديمًا(١).

إن هذا التصوُّر العميق الذي أرساه العقاد تلقَّفه (أدونيس)، وعمَّق فيه تصوراته في حديثة عن أوهام الحداثة، إذ ينفي أن يكون النَّص الذي يتناول إنجازات العصر وقضاياه حديثًا؛ لأن الشاعر قد يتناول هذه المنجزات برؤيا تقليدية وبمقاربة فنية تقليدية، كما فعل الزهاوي والرصافي وشوقي حسب رأيه(٢).

وذهب أدونيس فيما بعد إلى ما هو أبعد من ذلك؛ ليقول: «إن الكتابة الإبداعية الحداثية هي التي تمارس تهديمًا شاملًا للنظام السائد وعلاقاته، أعني: نظام الأفكار»(٣).

وأمام هذه النظرة السطحية للعصرية، والدعوة المغالية للعصرية المطلقة التي تقطع كل صلة بالتراث وقف عزُّ الدين إسماعيل وقفة معتدلة تجاوزت النظرتين المتعارضتين؛ ليقول: «إنَّه ليس المجدِّد في الشعر من عرف الطيَّارة والصاروخ، وكتب عنهما، فهذه في الحقيقة محاولة عصرية ساذجة، فالشاعر قد يكون مجدِّدًا حتى عندما يتحدَّث عن الناقة والجمل»(٤).

أمَّا خالدة سعيد، فإنها تميِّز بين الحداثة أو التجديد لشمولية الأولى وخصوصية الثاني؛

(١) صمود، حمادي، ندوة (**الحداثة في مجلة شعر**)، مجلة فصول، العدد (١)، ١٩٨٢م، ص٢٦٥.

(٢) أدونيس، أحمد علي سعيد، **فاتحة لنهايات القرن**، بيروت، دار العودة (١٩٨٠م) ص٣١٦.

(٣) أدونيس، أحمد علي سعيد، **زمن الشعر**، بيروت، دار الساقي، ص ٣١٥.

(٤) إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٠- ١٣.

لأن التجديد كما ترى هو أحد مظاهر الحداثة، بمعنى: «أن الجديد هو إنتاج المختلف المتغير... الجديد نجده في عصور مختلفة، لكنه لا يشير إلى الحداثة دائمًا»، وترى أن الحداثة ليست مقترنة بمظاهر شكلية؛ كالوزن، والقافية، أو قصيدة النثر، أو أنظمة القصِّ والسَّرد، وإنما تتجاوز ذلك إلى (ثورة فكرية)، بمعنى: أنها لا تنفصل عن ظهور الأفكار والنزوعات التاريخية التطورية، وتقدِّم المناهج التحليلية التجريبية، وهي تتبلور في اتجاه تعريف جديد للإنسان عبر تحديد جديد لعلاقته بالكون، إنها إعادة نظر شاملة في منظومة المفاهيم والنظام المعرفي، ومن ثم يمكن أن يقال: إنها إعادة نظر في المراجع والأدوات والقيم والمعايير(١).

فالحداثة من هذا المنظور تمثِّل اتجاهًا فكريًّا، وثورة كاملة على كل ما كان، وما هو كائن في المجتمع، وهي بهذا المعنى رؤية كونية لا تنحصر في أبعاد محددة، بل تتجاوزها إلى الرفض والاختلاف، وهذا يشير إلى أن معنى هذا المصطلح يقوم على مفهوم المغايرة والمعارضة لكل ما هو تقليدي ونمطي(٢).

وقد عرف رولان بارت الحداثة بأنها انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه فيقول: «في الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة، وتتحرر شهوات الإبداع في الثورة المعرفية مولدة في سرعة مذهلة وكثافة مدهشة أفكارًا جديدة وأشكالًا غير مألوفة وتكوينات غريبة وأقنعة عجيبة، فيقف بعض الناس منبهرًا بها، ويقف بعضهم الآخر خائفًا منها، وهذا الطوفان المعرفي يُولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضًا». محاضرة الحداثة والتراث. د. مُحَمَّد هدارة.

ويتابع الدكتور هدارة قائلا: «كما يصفها بعضُ الباحثين الغربيين بأنها (زلزلة حضارية عنيفة، وانقلاب ثقافي شامل، وأنها جعلت الإنسان الغربي يشكُّ في حضارته بأكملها،

(١) سعيد، خالدة، **الملامح الفكرية للحداثة**، مجلة فصول، العدد ٣، (١٩٨٤م) ص ٢٥-٢٦.

(٢) عبد الباقي، ليندا، **خيرة خمرة العين وجدل الحداثة في نقد الشعر العربي** (جريدة الأسبوع الأدبي، (٢٠٠٣م) ص ٦- ٩.

ويرفض حتى أرسخ معتقداته الموروثة)».

وبنظرة تأملية لهذا المفهوم الاصطلاحي للحداثة عند دعاتها، فإنني أرى أن الحداثة بهذه الرؤيا تنطبق على الحداثة الغربية؛ لأن ظهورها تزامن وترافق مع التحديث، أما الحداثة التي دخلت مجتمعاتنا العربية، فإن ظهورها لم يترافق بشيء من هذا القبيل؛ لذلك وجدت أنه من المفيد أن أعرض لمحة موجزة عن نشأة الحداثة في محضنها الأول والأرضية التي انطلقت منها؛ ليظهر لنا مدى التباين بين هذه النشأة وبين الواقع الذي ظهرت فيه الحداثة العربية التي كان لها ما لها، وعليها ما عليها.

جذور الحداثة عند الغرب:

لقد اختلف كثيرٌ من الذين أرَّخوا، ونظَّروا للحداثة الغربية حول بداياتها الأولى، وعلى يد مَنْ مِنْ كُتَّابهم ظهرت ونشأت، ورغم ذلك يتفق بعضهم على أنَّ إرهاصاتها المبكرة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يدي (بودلير) الشاعر الفرنسي صاحب ديوان (أزهار الشر)، ولكنها لم تنشأ من فراغ، بل هي امتداد لإفرازات المذاهب والتيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية والأيديولوجية المتعاقبة التي عاشتها أوربا في القرون الخوالي، والتي قطعت فيها صلتها بالكنيسة، وتمرَّدت عليها، وقد ظهر ذلك منذ ما عُرف بعصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي عندما انسلخ المجتمع الغربي عن الكنيسة، وثار على سلطاتها الروحية التي كانت بالنسبة لهم كابوسًا مخيفًا، وسيفًا محاربًا لكل دعوة للعلم الصحيح ولاحترام عقل الإنسان وتفكيره وفكره[1].

في ظل هذه الظروف جاءت الحداثة؛ لتمثِّل هذا الانفجار الفكري الرهيب، والحقُّ أن الحداثة آذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوربا الحديثة، نحن لسنا بصدد التأريخ له، ولكن ما يهمنا في الأمر هو تحديد أهم مرتكزاته التي قام عليها، **والذي يتمثَّل بملمحين رئيسيين هما:**

(١) أدونيس، أحمد علي سعيد، **فاتحة لنهايات القرن**، دار العودة، بيروت، (١٩٨٠م) ص٢٣٤.

– تنزيل العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي.

– تكريس الإنسان هدفًا نهائيًّا للتحرُّر والتقدُّم، وهذا يقودنا للقول: إنَّ جوهر الحركة يتمثَّل بمنحيين رئيسيين هما: العقلانية والنزعة الإنسانية، عقلانية (كانت وسبينوزا وهيغل) التي تجاوزت العقل الصوري الأرسطي، هذه العقلانية التي انتصرت على اللاهوت، وبانتصارها انتقل الفكر الغربي إلى عصر جديد هو عصر الإنسان بوصفه (جوهر) العالم ومركزه وصانع مصيره فيه(١).

فالبيئة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الأوربية هي التي أنتجت مفهوم الحداثة، وهي مِن ثمَّ مثَّلت الإطار المرجعي الدائم له، وهي الذاكرة العميقة التي تفسِّره، وتمنحه شرعيته، وهذا ما غاب عن معظم الحداثيين العرب، أو (ما أرادوا إنكاره، وعدم الاعتراف به)، فالحداثة في الغرب لم تكن طفرة، ولم تكن قفزة في الهواء، ولم تكن مولودًا لقيطًا... وإنما كانت تطورًا طبيعيًّا ومنطقيًّا لسيرورة الفكر الغربي، والفلسفة الغربية، والقيم الغربية، والدارس للفلسفة الغربية سيكتشف بسهولة مدى ارتباط المدارس السياسية والاقتصادية والفنية والأدبية والنقدية الغربية بتلك الفلسفة، وسيكتشف كيف أنَّ مصطلحات تلك الفلسفة قد رحلت؛ لتستخدم في الخطاب النقدي والأدبي والاقتصادي...

في ظلِّ هذه الظروف نشأت حداثة الغرب بكل تناقضاتها، وما إن وصلتنا حتى بدأ الحداثيون العرب يتعاملون مع منجزاتها دون وعي حقيقي لجذورها ومنطلقاتها عند غالبيتهم، وهذا قادهم إلى فهم سطحي لها مما جعلها غريبة عنَّا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ بعض دعاة الحداثة من العرب تراءى لهم أنَّ الأخذ بها هو في جملة الأخذ بالأسباب التي صنعت لأوربا شوكتها وهيبتها، فما تردَّدوا في النهل من ثمرتها متطلعين إلى توطين مكتسباتها المعرفية في نسيج ثقافتهم، ورفعوا شعار ما عرف بالنهضوية.

(١) المرجع نفسه، ص٢٣٤.

هذه النهضوية التي كانت تنظر للنموذج الغربي كابتكار أصلي لها يكمن في جذورها حيث كان يعتقد هؤلاء أنَّ الغرب حضاريًّا هو ابن الشرق، وبهذا المعنى تتم المثاقفة مع النموذج- الثقافي الشعري الغربي- بوصفها عودة إلى الأصول، أي: (إنّ شعرية الشعر الغربي العظيم تتصل بخصائص مشرقية: النبوَّة، الرؤيا، الحلم، ما وراء الواقع، الشطح، الكشف...)، وقد كان لهذه الخصائص تأثيرها الحاسم على (نظرية الشعر) التي بلورها مشروع الحداثة عند شعراء حركة (مجلة شعر)[١].

ولا يقصد بالشرق هنا العروبة والإسلام، وإنَّما الحضارة المتوسطية (الإغريقية، والفينيقية، والكنعانية، والبابلية، والسومرية...)، إلخ، ومما لا جدال فيه أنَّ الحداثة كمذهب أدبيٍّ تجديدي قامت في أساسها الأول على الغموض، وتغيير اللغة، والتخلص من الموروث بكل أشكاله وأحاسيسه، وتجاوز السائد النمطي.

وها هو رامبو أحد روُّاد الحداثة في الغرب يدعو إلى أن يكون الشعر رواية ما لا يرى، وسماع ما لا يسمع، وفي رأيه أنَّ الشاعر لا بدَّ أن يتمرَّد على التراث وعلى الماضي، ويقطع أيَّ صلة مع المبادئ الأخلاقية والدينية، وتميَّز شعره بغموضه، وتغييره لبنية التراكيب والصياغة اللغوية عما وضعت عليه، وتميَّز- أيضًا- بالصور المتباعدة المتناقضة الممزقة، كما يذكر د. عبد الحميد جيدة[٢] .

وهنا أتساءل إذا كانت هذه هي الأرضية التي انطلقت منها حداثة الغرب بتمرُّدها الصارخ على التراث والقيم والتقليد السائد، وبما حملته من أفكار وفلسفات جديدة، فكيف كان صدى ذلك على أدبنا وأدبائنا منذ بدأت نسائمها تهبُّ على أدبنا وفكرنا وفنِّنا.

(١) بلقزيز، عبد الإله، **العرب والحداثة**، مجلة المعرفة، العدد ٤٨٥، شباط، ٢٠٠٤م، ص٨٤-٨٥.

(٢) جيدة، عبد الحميد، (١٩٨٠)، **الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي المعاصر**، ط١، بيروت، مؤسسة نوفل، ص١٤٨.

العرب والحداثة:

ولدت الرؤيا الحداثية في الثقافة العربية بتأثير فكرة الحداثة الغربية الوافدة علينا، ودخلت أبوابنا من مدخل أدبي وفني يشهد على ذلك مسرح توفيق الحكيم، وروايات نجيب محفوظ، وشعر نازك الملائكة، وحركة (مجلة شعر)، وموسيقى الأخوين عاصي ومنصور الرحباني، وسينما صلاح أبو سيف ويوسف شاهين...، إلخ[١].

وقد يعود سبب ذلك إلى أنه يجوز في الأدب والفن ما لا يجوز في غيره، فقد وجدنا أبا الطيب المتنبي، وأبا العلاء المعري، وأبا نواس يقوون على قول ما لم تقوَ الفلسفة على قوله حتى في عصرها الأندلسي المزدهر مع ابن طفيل وأبي الوليد وابن رشد، وذلك لما يتمتع به الإنتاج الأدبي من رمزية تتيح له هوامش أوسع بكثير مما هو متاح للإنتاج النظري والعلم الاجتماعي[٢].

وهذا لا يعني أن ولادتها كانت من رحم الأدب والفن حصرًا... فخارج حومة الأدب والفن وفي رحاب الفكر والإنتاج النظري وُلدت الحداثة، وشبَّت عن الطوق قبل الحداثة الأدبية والفنية، وتشير إلى ذلك الكاتبة الحداثية (خالدة سعيد) حيث تقول: «إن التوجُّهات الأساسية لمفكري العشرينات تقدِّم خطوطًا عريضة تسمح بالقول: إن البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة قد أطلقت يوم ذاك»[٣].

مَن منَّا يمكنه أن ينسى ديكارتية (طه حسين) وصدامها مع قضية الموروث الشعري العربي من خلال كتابه «في الشعر الجاهلي»، ومن يتجاهل صرخة عبد الرحمن بدوي الوجودية، وعلمانية سلامة موسى المبكرة...، إلخ.

فللحداثة بمفهومها (الاصطلاحي) الذي أوردناه آنفًا في تاريخ ثقافتنا وفكرنا العربيين

(١) بلقزيز، عبد الإله، **العرب والحداثة**، مجلة المعرفة، العدد (٤٨٥)، شباط، (٢٠٠٤م)، ص٩٨.

(٢) سعيد، خالدة، **الملامح الفكرية للحداثة**، مجلة فصول، (١٩٨٤م)، العدد ٣.

(٣) المرجع السابق نفسه.

وجود منذ ما لا يقل عن ثلاثة أرباع القرن، لكن السؤال الذي لا يزال يفرض نفسه على حاضرنا اليوم، بل لعله بات أكثر حِدَّة من ذي قَبل بعد أن نهض من أبدى الاعتراض عليها بلسان جهير هو:

لِمَ هذا الهجوم المستمر والعنيف على الحداثة والحداثيين؟!

أيمكن أن نقول: إن القصور في الحداثة، أم في الحداثيين، أم في كليهما معًا؟! أم أن الأمر يكمن في أن ظهور الحداثة نفسها عند العرب لم يكن طبيعيًّا؛ لأن المعيار الذي تتطابق فيه الحداثة والتحديث ينطبق تمامًا على ظهور الحداثة الغربية، ولكنه بعيد عن ظروف ظهور الحداثة العربية؟!

للإجابة عمَّا سبق لا بد من الإشارة هنا إلى أن العوامل السابقة كلها لعبت دورًا بارزًا في الهجوم عليها، ولكن يجب الإشارة من جهة أخرى إلى أن سائر المجتمعات التي اقتحمتها الحداثة- خارج مداها الأوربي- لم تلقَ الاستقبال والتهليل، خصوصًا وأنها أتت في ركاب الغزو الاستعماري، وما كان العرب وحدهم والمسلمون معهم الوحيدين الذين انفردت ثقافتهم بإبداء الممانعة الحادة والشاملة للحداثة التي اقتحمت عوالمهم، بل شاركهم في ذلك كثيرون منهم: الصينيون والهنود وغيرهم[(١)].

وأمام الممانعة الثقافية الإسلامية لفكرة الحداثة الغربية للثقافة العربية المعاصرة، والاستقبال الإيجابي المتعامل معها بانفتاحٍ كبير حدثت هُوَّة خطيرة بين دعاتها وخصومها، وهذا ما يدعونا للتأمل فيها وسَبر أغوارها؛ لنستكشف أبعادها من خلال طرح نماذج من آراء الطرفين ووجهة نظر كل منهما؛ لتبدو الصورة أكثر جلاءً، وتتضح معها معالم الأزمة التي تعانيها الحداثة العربية منذ نشأتها وحتى الآن.

(١) بلقزيز، عبد الإله، (**العرب والحداثة**)، مجلة المعرفة، العدد ٤٨٥، ص٩٠.

الحداثة بين دعاتها وخصومها:

إنَّ دعاة الحداثة العربية كثرٌ؛ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الرُّواد: علي أحمد سعيد (أدونيس)، وخالدة سعيد؛ من سوريا، ويوسف الخال وخليل حاوي؛ من لبنان، وعبد الله العروي؛ من المغرب، وصلاح عبد الصبور وعفيفي مطر وأمل دنقل؛ من مصر، وعبد الوهاب البياتي والسياب ونازك الملائكة؛ من العراق، وعبد العزيز المقالح؛ من اليمن، ومحمود درويش وسميح القاسم؛ من فلسطين، وأحمد نائل فقيه وعبد الله الغذامي؛ من السعودية...، إلخ، وهؤلاء منهم الشاعر، ومنهم الناقد، ومنهم الكاتب.

ويعدُّ علي أحمد سعيد (أدونيس) أبرز مَن دعا للحداثة، ونظَّر لها، ويتأسس مفهوم الحداثة لديه في ضوء المغايرة والاختلاف والمعاصرة والتجريب، وهو يميز بين المغايرة الشكلية والجوهرية، فالمغايرة الشكلية مقصودة لذاتها، ولا تعني شيئًا مضافًا، بمعنى: أن الإبداع يناقض الذي سلفه لمجرد المغايرة، ويصدق هذا على الإبداع وغيره، وضرب مثلًا على ذلك الخوارج، أما المغايرة الجوهرية الحداثية، ففن الإبداع فيها يتغاير من حيث التجربة وأشكال التعبير(١)، ومِن ثَمَّ فهو مختلف عما سبقه، وليس مؤتلفًا معه.

وفي ضوء هذا تُسهم المغايرة الجوهرية في تحديد ماهية الحداثة وخصائصها، فالحداثة العربية ليست نسخًا وتقليدًا للآخر، وإنما تعني تجاوز المحاكاة والتقليد؛ لأننا في هذه الحالة إنما نُعيد «إنتاج العلاقات نفسها؛ علاقة نظرة الشاعر بالعالم والأشياء، وعلاقة لغته بها، وبنية تعبيره الخاصة التي تعطي لهذه العلاقات تشكيلًا خاصًّا»(٢).

أمَّا المعاصرة فإن الحداثة ليست عصرية بزمنيتها(٣)، وإنما الحداثةُ خصيصة تكمن في البنية ذاتها، وقد تمت الإشارة إلى هذه النقطة من قبل حين أشار أدونيس إلى أن هناك شعراء

(١) أدونيس، **فاتحة لنهايات القرن**، بيروت، دار العودة، (١٩٨٠م)، ص٣١٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ص٣١٦.

(٣) المرجع السابق نفسه ص٣١٤.

تناولوا الحديث عن المنجزات العصرية برؤيا تقليدية؛ لذلك لم يكونوا حداثيين.

وإذا كانت المغايرة والمعاصرة تحدِّدان للحداثة جانبًا مهمًّا من خصائصها، فإن التجريب يتمِّم للحداثة بنيتها العميقة، وأشار إلى تجريب قصيدة النثر التي ترتكز على مكونات الحداثة، وهنا يؤكد (أدونيس) على أن شعرية القصيدة هي في بنيتها لا في وظيفتها(١)، وهكذا تقود الحداثة- وقصيدة النثر منها- إلى تغيير في نظام الأشياء، وفي نظام النظر إليها.

- فأيُّ تغيير هذا؟ وعلامَ يقوم؟ وإلامَ قاد فيما بعد؟

إن قراءة واعية لمقولة (أنطون سعادة) التالية فيها إجابة وافية عن الأسئلة المطروحة، يقول أنطون سعادة- أحد الذين كان لهم أثر كبير على توجُّه أدونيس الشعري، وأحد أقطاب حركة (مجلة شعر)، التي كانت باكورة مشروع الحداثة العربية-: «إنَّ الأديب والشاعر والممثِّل هم أبناء بيئاتهم يتأثرون بها تأثرًا كبيرًا، والفنان المبدع والفيلسوف هما اللذان لهما القدرة على الانفلات من الزمان والمكان، وتخطيط حياة جديدة، ورسم مُثُلٍ لأمة بأسرها، وهذا يقود الشعر ليكون ميتافيزيقيًّا، ويستبدل الواقع بالرؤيا، والمرجع الاجتماعي بالأسطورة، وسبب ذلك برأي سعادة يعود إلى حالة العقم الحضاري والبوار في الواقع العربي القائم، وكان يرى الخلاص في صورة البعث الذي يتخطَّى الواقع باتجاه مستقبل جديد، ومن هنا نشأت إشكالية العلاقة بين الحداثة والتراث(٢).

والتعاريف التي يُقدمها الحداثيون للتراث عمومًا تتسم بالفسيفسائية، حيث إن الهوة العميقة بينها تحيلك على التناول غير المنهج والنظرة غير الموحدة التي تمثل السمة البارزة للباحثين الحداثيين؛ فمحمد أركون- مثلًا- يعنى بالتراث والقرآن الكريم والسنة النبوية وما له علاقة بالعلوم الإسلامية؛ فرؤيته للتراث في كتابه «مفهوم النص» تتوافق مع رؤية الحداثي الآخر حسن حنفي حيث يقول: «نشأ التراث من مركز واحد، وهو القرآن والسنة، ولا يعني

(١) أدونيس، **فاتحة لنهايات القرن**، ط١، بيروت، دار العودة، ص٢٥٢.

(٢) باروت، مُحَمَّد جمال، **الحداثة الأولى**، ط١، دبي، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، (١٩٩١م)، ص ١٢٥.

هذان المصدران أي تقديس لهما، بل هو مجرد وصف لواقع»[١]، بينما يعتبر الجابري في كتابه «نحن والتراث» الحصيلة الفلسفية للعقل المنتمي للفكر الإسلامي من قضايا فلسفية وإشكاليات شغلت فلاسفة الإسلام؛ مثل: ابن رشد، والفارابي، وابن سينا، وابن خلدون، وغيرهم، فرؤاهم تدخل في حدود حقل ما هو (تراثي).

وإذا كان الحداثي مُحَمَّد أركون يرى أنَّ التراث بما في ذلك القرآن الكريم مجرد مجازات وخيالات لا تصلح لأن تكون قانونًا بشريًّا، كما هو الحال مع الإنجيل والتوراة[٢]، فإنه على النقيض يتساءل الجابري هل النصوص الدينية الإسلامية في حاجة إلى نقد تاريخي، كما فعل الفيلسوف اليهودي الهولندي (سبينوزا) مع تراثهم؟ فيقرر أننا «لا نستطيع الشك في صحة النَّص الذي بين أيدينا اليوم؛ لأنه المصحف نفسه الذي جمع ورتب وأُقر كنص رسمي زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكما هو معروف، فلقد كان للنبي كتَّاب يَكتبون الوحي، وكان هناك حرص شديد على ألَّا يُكتب غيره من كلام النَّبي حتى لا يقع اختلاط... ولا شيء يُشجِّع أو يبرِّر الشك، ولا حتى اصطناع الشكِّ المنهجي بصدده»[٣].

هذه الإشكالية ولدت الصراع بين الدعاة والخصوم، وأحدثت بينهم سجالات حادَّة أفضت بهم إلى مزيد من التباين والصراع، ويؤكد ذلك ما قاله أدونيس في كتابه «الثابت والمتحول»: «لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهدم البنية التقليدية السائدة للفكر العربي، ويتخلص من المبنى التقليدي الاتباعي»[٤].

بهذه الثورة على الموروث والبنى التقليدية كشفت الحداثة العربية عن وجهها، ذلك الوجه الذي لم يرُق للكثيرين ممن وجدوا في منطلقاتها ومبادئها هدمًا للدين، وتقويضًا للموروث،

(١) حنفي، حسن، **التراث والتجديد**، ط٤، **بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع**، ص١٥٤.

(٢) أركون، مُحَمَّد، **تاريخية الفكر الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، (١٩٩١م)، ص٢٩٩.

(٣) سلسلة «**مواقف**»، مُحَمَّد عابد الجابري، العدد ٢٨، ص ٩٢.

(٤) أدونيس، علي أحمد سعيد، **الثابت والمتحول**، ط٢ بيروت، دار العودة، ج٣، ص١١٠.

وإفسادًا للأخلاق، وانتهاكًا للقيم.

وفي جواب زكي نجيب محمود لمن سأله لمن يغنّي الشاعر؟ وما موقفه من الأخلاق؟ ما يدعم موقفهم هذا، حيث يقول: «إنَّ الشعر يظل شعرًا سواءً أرضيت عنه مبادئ الأخلاق أم لم ترضَ، ما دام حقَّق لنا ما تقتضيه طبيعة فنِّه، فلا فرق عند الفنِّ أن يصور الشاعر فضيلة، أو أن يصوِّر رذيلة طالما أجاد الفن في كلتي الحالتين، إنَّ دنيا الشعر تُرحب بأبي نواس ترحيبها بزهير، أي: أنَّ الوظيفة الأخلاقية للشعر ليست مما يتقوَّم به الشعر، فالشعر شيء، والأخلاق شيء آخر»[(١)].

وهذا يتفق تمامًا مع ما نادى به (إدغار آلان بو) إذ قال: «يجب أن يكون الأدب كاشفًا عن الجمال، ولا علاقة له بالحق والأخلاق»[(٢)].

وقد وجد خصوم الحداثة في هذه المنطلقات والآراء مروقًا وفسادًا، دفع بعضهم لوصف الحداثيين بالانحراف، كما جاء في مقال تحت عنوان: (الدكتور كمال نشأت يكشف انحرافات شعراء الحداثة)، بقوله: «إن الحداثيين عملوا على تشويه اللغة العربية بتراكيبهم المقيتة، وكذلك عملوا على تشويه الدين الإسلامي»، ويعرض كاتب المقال قولًا آخر للدكتور نشأت، يقول فيه: «أنا لست مفكرًا إسلاميًّا، ولا أزعم أني داعية إسلامي، ولكن الحداثيين يستفزون كلَّ عربي أن يقف في وجوههم رافضًا كلَّ ما يفعلون»[(٣)].

ويذهب عمرو محمود كاتب المقال إلى أبعد من ذلك في رفض الحداثة والحداثيين حيث يقول: «لقد كانت الحداثة وصمة في جبين الأدب العربي خصوصًا بعد أن كشفت الباحثة الإنجليزية (فرانسيس سوندرز) أن المخابرات الأمريكية كانت وراء نشر الحداثة وتمويل مجلتي

(١) الصباغ، رمضان، **في نقد الشعر العربي المعاصر– دراسة جمالية**، ط. ٢٠٠٢م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٧٦.

(٢) زياد، مسعد مُحَمَّد، **الحداثة: مفهومها، نشأتها**، موقع اللغة العربية لغة القرآن /EN.

(٣) نشأت، كمال، **كمال نشأت يكشف انحرافات شعراء الحداثة**، موقع إخوان أون لاين، عرض عمرو محمود، ٢٠٠٥/٩/١٥م/ EN.

(شعر) و(حوار) اللتين ساهمتا مساهمة كبيرة في نشر الحداثة في أوساط الشباب والمثقفين»، ويتابع قائلًا: «إنَّ كشف حقيقة الحداثة في عالمنا العربي سبق الباحثة الإنجليزية، وكانت كتابات المرحوم د. مصطفى هدَّارة، ود. أبو الحمد، ود. حلمي القاعود، ود. إبراهيم عوض، ود. عبد العزيز حمودة، ود. كمال نشأت، كلها تصب اهتمامها على مضمون الحداثة وتشريحها وفق معايير النقد المعروفة والمصطلح عليها، وقد أجمعت هذه الأسماء على أن الحداثة تحتوي في مضمونها خرابًا وتدميرًا للعقل العربي والذوق العربي؛ لأنها تعتمد على القطيعة مع التراث، وتغرق في الغموض والرمزية التي تستغلق على أصحاب الثقافة الرفيعة»[(١)].

ويؤيِّد الدكتور عدنان النحوي هذا الرأي، ولكن بأسلوب أقل حِدَّة بقوله: «لم تعد لفظة الحداثة في واقعنا اليوم تدلُّ على المعنى اللغوي لها، ولم تعد تحمل في حقيقتها طلاوة التجديد ولا سلامة الرغبة، إنها أصبحت رمزًا لفكرٍ جديد، نجد تعريفه في كتابات دعاتها وكتبهم.

فالحداثة اليوم في ظلِّ ما تقدَّم نجدها تدل على مذهب فكري جديد يحمل جذوره وأصوله من الغرب بعيدًا عن حياة المسلمين وحقيقة دينهم، ونهج حياتهم، وظلال الإيمان والخشوع للخالق الرحمن»[(٢)] .

ويدعم هذا الرأي ما جاء على لسان أدونيس في مؤلفه «صدمة الحداثة» حين قال: «إنَّ الحداثي العربي يعبِّر عن الآخر؛ لأن الآخر يقيم في عمق أعماقنا، فجميع ما نتناوله اليوم فكريًّا وحياتيًّا يجيئنا من الغرب، أما فيما يتصل بالناحية الحياتية، فليس عندنا ما نحسِّن به حياتنا إلا ما نأخذه من الغرب، كما أننا نعيش بوسائل ابتكرها الغرب، إننا نفكر بلغة

(١) نشأت، كمال، **كمال نشأت يكشف انحرافات شعراء الحداثة**، موقع إخوان أون لاين، عرض عمرو محمود، ١٥/٩/٢٠٠٥م/ EN.

(٢) النحوي، عدنان، (١٩٩٢م)، **الحداثة من منظور إسلامي**، ص٣١.

الغرب نظريات ومفهومات ومناهج تفكير، ومذاهب أدبية...»، إلخ[١].

إن خصوم الحداثة يجدون في رأي أدونيس هذا ما يشفي غليلهم، ويؤكد لهم صواب نظرتهم في الحداثة والحداثيين، وتبعيتهم للغرب على لسان منظِّرهم الأول، ولكننا لو تعمقنا بما وراء هذه الكلمات، وأسقطناها على الواقع الذي ظهرت فيه الحداثة العربية لوجدنا أن معاناة الحداثي العربي كبيرة؛ لأنه يحمل فكر حداثة غريبة عنه بأفكارها وقيمها ومبادئها، ويتعامل مع واقع بعيد عنها، ويفتقر إلى الكثير من مقومات الإبداع، وإن وجد ما يمتُّ إلى الإبداع بصلة فإنه يكون من ابتكاره، وهو ملزم أن يكون مبدعًا وملتزمًا بما يفرزه له واقعه ومجتمعه، وحريٌّ بنا هنا في ظل حقيقة هذا الواقع التعاطف مع الحداثي لا التهجم عليه.

ولم يكتف خصوم الحداثة بمهاجمتهم لها ولدعاتها بكتاباتهم وآرائهم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ فقد نقلوا شهادات على لسان مَن ليسوا ضد الحداثة، ولكنهم ضد طريقة نقل الحداثيين لها على مبدأ (وشهد شاهد من أهله)، فقد نقل الدكتور «أن المشكلة التي نواجهها لا تتمثل في إمكاننا الاهتمام بالحداثة، وإنما تتمثل في ادعائنا الفهم، وإنكارنا عدم وجود أية عقبات تحول بيننا وبين ذلك، أما الكارثة العظمى فتتمثل في ادعائنا الانتساب لها والانتماء لثقافتها، وهو خلق معهود في الجماعات المهزومة في عصور الانحطاط»[٢].

فعبد المعطي حجازي يَرى أن المشكلة لا تكمن في الحداثة، وإنما في عدم فهم الحداثيين لها، ولكيفية نقلها بالصورة الصحيحة، وينقل كذلك رأي الدكتور أحمد هيكل حيث يقول: «إن هذا الإنتاج الشعري الذي يأخذ هذه الوجهة الإنغلاقية الألغازية الإبهامية قد عزل نفسه في نطاق خاص جدًّا، وهو نطاق هؤلاء الشعراء»[٣].

ويرى د. كمال نشأت أنَّ أبيات الشعر الحداثي التي يسمونها «قصيدة النثر» بتسمية

(١) أدونيس، أحمد علي سعيد، **صدمة الحداثة**، ص ٢٥٨.

(٢) باروت، محمَّد جمال، **الحداثة الأولى**، ص ١٢٥.

(٣) نشأت، كمال، **كمال نشأت يكشف انحرافات شعراء الحداثة**، موقع إخوان أون لاين.

أدونيس تخلو من الجمال, فهي لا فنية مثلما نرى في الشعر الحق, ذلك أنها مكونةٌ من عناصر بعيدة لا انسجامَ بينها, ترسم لوحةً جماليةً, ولا تعكس دلالةً أكرِهَت على النزول في غير مواضعها، فكان هذا التشتت المعيب.

أمَّا أدونيس، فإنه يرى أنَّ أزمة شعر الحداثة هي أزمة تلقي نتيجة اتساع الهوَّة بين ثقافة المبدعين ومستوى المتلقين، وأن المرض مرض الناقل لا مرض المبدع(١)، وهذا ما دفع الشاعر الكبير محمود درويش إلى أن يصرخ، ويقول: «أنقذونا من هذا الشعر»(٢).

بهذه الصورة أخذ السجال يحتدم بين الدعاة والخصوم، واشتد الأمر؛ ليتحول إلى ما يشبه معركة بين أنصار الحداثة وخصومها، واستنادًا على ما أوردته من آراء لدعاة للحداثة أو لخصومها، فإنني أجد نفسي مدفوعة للقول: إن جوهر الصراع حول مفهوم الحداثة بين خصومها ودعاتها ما كان ليأخذ هذه الصورة الصدامية لولا مبالغة دعاتها في محاكاتهم النموذج الغربي، وثورتهم على الموروث بأنواعه المختلفة؛ عقيدة ولغة وأدبًا وأخلاقًا، وتخطِّيهم لواقعهم وقيم مجتمعاتهم، مما أثار حفيظة الأصوليين على موروثهم وقيمهم ودفعهم إلى مزيد مِن التمسك به، والانغلاق على الذات، ورفض الآخر، وهذا انعكس بدوره على كتاباتهم ومواقفهم ودفعهم إلى محاربة كل ما هو جديد وحديث، فوجدنا كلا الطرفين يجنح عن الوجهة المطلوبة والغاية المنشودة، وهذا يحدوني للقول: نحن نريد للعقل العربي المبدع أن يتحرَّر من أسار التبعية للغرب واللهاث وراء أفكاره ومبادئه بحجة المعاصرة والتجديد والتحديث، كما نريد له ألا يبقى مقلِّدًا للسلف بحجة المحافظة على التراث، وعدم الانجراف وراء التيارات الجديدة، حتى لا نصبح عالة على أسلافنا المبدعين، فالحياة تتطوَّر وتتقدم، والتأثير والتأثر وارد في الحضارات الإنسانية، بل أصبح ضرورة حتمية، وهذا هو ما يعرف الآن بـ(حوار الحضارات)، ولكن ما لا نريده هو التقليد الأعمى والانبهار بالآخر.

(١) أدونيس، أحمد علي سعيد، **فاتحة لنهايات القرن**، ص٢٥٣.

(٢) جريدة السفير، عدد ٢٣/ ٥/ ١.

وهنا يحضرني رأيٌ توفيقي للدكتور زياد الزعبي، كان قد ورد في جريدة (الغد)، يقول فيه: «ليس مِن تعارض بين التراث والحداثة إلا إذا فهمنا التراث بالمعنى الارتدادي، أي: العودة إلى الماضي والإقامة فيه، وإذا فهمنا الحداثة بوصفها فِعل إلغاء للتراث في هذه الحالة نقف بين طرفين متناقضين يسعى كل منهما إلى إلغاء الآخر، وهذه هي النقطة التي تولَّد سوء الفهم في العلاقة بينهما، ولكن الإدراك الواعي للتراث ولفعله الحتمي في الحاضر من حيث انحلاله فيه ودخوله العميق الفعَّال في كل مكوِّناته هو الذي يمكِّن مِن تجاوز- ليس الهوة المفترضة بينهما، ولكن أيضًا- الجدل الدائر حولهما»[(١)].

وما يعرف الآن بما بعد الحداثة يفرز أزمة جديدة تضاف إلى أزمة الحداثة حيث يشير النقاد ما بعد الحداثيين إلى أن الحداثة تفتقد الأساس الذي بنيت عليه، أو انطلقت منه، بمعنى: غياب الأسس الموضوعية لأفكار التقدم والعقلانية والتنوير، فالفكر ما بعد الحداثي يأخذ على الحداثة عدم إدراكها لأسسها القائمة عليها إلا أنه بالمقابل لا يمكن أن يقدِّم أساسًا لتغيير عملي (للواقع)، مع تحفُّظ كبير في استخدام هذا اللفظ؛ لأن ما بعد الحداثيين يصرُّون على العدم بوصفه حقيقة الوجود ومعنى الحياة[(٢)].

وأمام هذه التيارات المتناقضة يجب علينا- نحن العرب- أن نعتني بأمورنا، ولا نلهث وراء النموذج الأوربي بكل تفاصيله؛ لأننا لا نشابهه، وإن كانت هناك بعض التقاطعات والمشتركات التاريخية والفكرية، ولكن هذا لا يُبيح لكُتَّابنا وفَنَّانينا اللهاث وراءه والانقياد له، فنحن نصدر عن ثقافة راسخة في أساس التماهي بين الواقع والمثال، وهذا يجعلنا أبعد ما نكون عن الاستغراق في الذات الإنسانية بوصفها القيمة المطلقة في الحياة؛ لأن الذات الإنسانية لا تتحدَّد بعوالمها الخاصة، بل بما يفيض عنها[(٣)].

(١) الزعبي، جريدة الغد، ١٢/ ٨/ ٢٠٠٥م، حوار: عزيزة علي.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) **ناموس ما بعد الحداثة**، (١٤٢٥هـ)، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، العدد ٨٣، ص٤.

كما أن هؤلاء الذين يشغلون عقولنا بالوجود والذات، فإنهم ينطلقون من شروط مغايرة لما نحن عليه؛ لذلك لا يجوز لأدبائنا ومفكرينا أن ينساقوا وراء الآخرين كل هذا الانسياق، خاصةً وأن باب الاجتهاد عندنا يَحمي شريعتنا وحياتنا بكل مجالاتها من الجمود، ويُتيح للعقل الإنساني الإبداع والابتكار بطريقة لا تقلُّ أهمية عن مفهوم الحداثة.

ويذهب كثير من الدارسين العرب إلى القول بوجود حداثات مختلفة، وإلى وهم مفهوم الحداثة الكلية الشاملة، نظرًا لوجود اختلافات بين تلك الحداثات في بيئتها الأصل، على أن تكون تلك الاختلافات بين مجتمعين مختلفين، فعندها يكون الاختلاف أوسع والتمايز واضح، وهذا عبد العزيز حمودة يقول عن حداثة الغرب: «إن الحداثة التي يتحدثون عنها في الواقع أكثر من حداثة»، ويتحدث مُحَمَّد عابد الجابري عن خصوصية الحداثة العربية من حيث خصوصية ثقافتها منكرًا وجود حداثة مطلقة؛ كلية وعالمية، وهذا فهم غير صحيح للحداثة التي جاءت كدين جديد (مجازًا) في الغرب، دين عالمي للبشرية جمعاء لا تحدها بيئات ولا ظروف معينة، فهي صالحة لكل ما هو بشري، فالحداثة ليست نظرية مستوردة من الغرب بهذا المفهوم للمعنى؛ لأنها لو لم تُوجد في الغرب فإنها لا محالة سوف تنشأ لدينا، وهي ليست نظرية مستوردة من الغرب تمامًا، كما أن المسيحية في الغرب ليست مستوردة، إن العالمية في مفهوم الحداثة ناتج في الأساس من خلال علاقات القوى المهيمنة، والتي من شأنها التقريب بين الثقافات العالمية، وكسر الحواجز والحدود حتى يصبح هذا العالم قرية كونية نتيجة التطورات الهائلة في مجال الاتصالات والمواصلات والتكنولوجيا، وهذا ما تبحثه العولمة، والتي يمكن «تلخيصها في كلمتين: كثافة انتقال المعلومات وسرعتها، إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد وموحد... فهناك ميلٌ لا رادَّ له إلى توحيد الوعي وتوحيد القيم وتوحيد طرائق السلوك وأنماط الإنتاج والاستهلاك، أي: إلى قيام مجتمع إنساني واحد.

إذًا، فالحداثة ذات طابع شمولي كلي عالمي، ولا يكفي وجود الاختلافات بين اتجاهاتها أن يكون سببًا لخلق حداثة مختلفة، صحيح بأن «الحداثة تختلف من زمن إلى آخر، ومن قُطرٍ إلى آخر، لا، بل من لغة إلى أخرى، ولكن جوهر الحداثة يكمن في طابعها العالمي، أو هي مرادف للعالمية»، كما قال بعض النُّقَّاد.

ولكن خوف العرب على الهوية العربية هو ما دَفَعهم إلى محاربة الحداثة بطرق مشروعة أو غير مشروعة، ومن زوايا غير صحيحة، فالحداثة لا تلغي أبدًا الذات الإنسانية، بل إن لكل إنسان الحق في دفع الحركة الثقافية والعلمية، والإضافة إلى الرصيد الإنساني الكلي، فالإنسان اليوم ليس إنسان الأمس الذي لا يكاد يعرف من الدنيا إلا ما يقع تحت رجليه.

لا غرو إذًا أنَّ الحداثة هي حداثة عالمية واحدة؛ شمولية كلية، ارتبطت بظروف كونية واحدة، وتضمنت مفاهيم قيمية واحدة في جوهرها على الأقل، واتسمت بملامح كثيرة؛ كالعقلانية، والنزعة الإنسانية، ونظريات العلوم، فلا حداثة بمعناها الاصطلاحي ممكنة في الأزمان الفائتة، كما يذهب لذلك مجموعة من الدارسين، وبذلك نرصد أزمة فهم جديدة للحداثة.

نتائج البحث:

من خلال استعراض مفهوم الحداثة ونشأتها والظروف التي رافقت هذه النشأة، وسبر عمق السجالات التي دارت بين دعاتها وخصومها، توصَّل البحث إلى النتائج الآتية:

– إن عدم وضوح مفهوم الحداثة لدى الكثير من المثقفين العرب وأُدبائهم من مؤيديها ومعارضيها– كان السبب وراء السجالات التي أشعلت النار بين دعاتها وخصومها، وتعميق الفجوة بينهم، وعدم قدرة الحداثيين أنفسهم على إيجاد حداثة فعلية فاعلة ومؤثِّرة؛ لذلك فإن فهم التراث والحداثة والإدراك الواعي للتراث ولفعله الحتمي في الحاضر هو الذي سيُمكِّن الحداثيين من تجاوز الهوة بينهم وبين معارضيهم وإنهاء الجدل الدائر بينهم.

– التبعية المطلقة للغرب من قبل بعض الأدباء والمثقفين العرب، واللهاث وراء أفكاره ومبادئه بحجة المعاصرة والتجديد– أفقدهم ثقة زملائهم المحافظين بهم وجمهورًا عريضًا من المتلقين والمتابعين، وهذا جعلهم يعيشون عزلة حقيقية مع أنفسهم وأدبهم؛ لأن التبني المطلق لمعطيات الثقافة الغربية ومحاولة فرضها على الواقع العربي والإسلامي أدى إلى عزلة الحداثة العربية عن محيطها وغربة الحداثيين العرب وتحولهم إلى نخبة بعيدة عن الجمهور لا تخاطب إلا نفسها.

– إن ثورة الحداثيين العرب على الموروث والبنى التقليدية جعلت الكثيرين من المفكرين والأدباء الأصوليين يجدون في منطلقاتها ومبادئها هدمًا للدين، وتقويضًا للموروث، وإفسادًا للأخلاق، وانتهاكًا للقيم، وكان ذلك سببًا لرفضهم لها.

– إنَّ غياب الأسس الموضوعية لأفكار التقدُّم والعقلانية والتنوير لنشوء الحداثة عند الغرب أدَّى إلى تخبط الحداثي العربي نفسه، وعدم قدرته على تحديد هويته التي تساعده على إثبات وجوده.

– إن أزمة الحداثة لم تكن أزمة تلقي نتيجة الهوة الواسعة بين المتلقي والمبدع، كما قال أدونيس، وإنما الأزمة كانت في طبيعة الشعر الذي قدَّمه الحداثيون، فالحداثة تكون في الشكل والمضمون تميزًا وارتقاءً وإبداعًا، لا تعقيدًا وغموضًا وغرابة، كما تجلَّى ذلك لدى غالبية الحداثيين.

– لا يمكن للحداثة العربية بمفهومها الإيجابي المأمول البعيد عن التبعية للغرب أن تتحقق والسجال بين دعاتها وخصومها مستعر بهذه الحدِّة، وهو يزداد يومًا بعد يوم.

الخاتمة والتوصيات:

هذه هي الحداثة التي شغلت- وتشغل- الساحة الأدبية والفنية والفكرية اليوم، وتملأ الآفاق ضجَّة وصخبًا بين مؤيِّد لها ومُعْرض عنها، وقد حاولت من خلال بحثي المتواضع أن أقدِّم بعض الإضاءات حول هذا الموضوع، ولا أقول: إنِّي جئتُ بما هو جديد مبتكر، وإنما اجتهدت في البحث والتحليل والمقارنة، وحاولت أن أتلمَّس سِرَّ الهوة بين مؤيديها ومعارضيها، والتركيز على هذه النقطة من خلال الاستعانة ببعض المراجع ذات الصلة بالموضوع لإجراء المقارنات والموازنات والمقاربات، وهذا مكَّنني من أن أصل إلى مجموعة من التوصيات التي لا أُعطيها صفة اليقينية الأكيدة، وإنما أُرجحها، وأعتقد أنها أقرب إلى الموضوعية والبعد عن التعصب والميل لطرف دون الآخر، وهي تتمثَّل بما يلي:

- إنَّ ابتعاد الحداثيين عن واقعهم وتجاوزهم لموروثهم- كان له تأثيره السلبي على الحداثيين الذين أغرقوا في الميتافيزيقية؛ والولوج إلى ما وراء الواقع؛ لأن الإبداع يموت بالابتعاد عن هموم الناس الحقيقية، ويموت بالاستغراق في الذاتيات.

- التأكيد على أنه لا حداثة دون أصالة، وأكبر دليل على ذلك أن الحداثة الغربية نفسها التي تجاوزت ماضيها، وتوجَّهت إلى الجديد المطلق تعيش اليوم حالة فوضى، وتدعو إلى ما بعد الحداثة، وتصرُّ على العدم بوصفه حقيقة الوجود، وتنتقل من عبثية إلى أخرى؛ لأنها تفتقد الجذور والأصالة اللذين نمتلكهما، فنحن نطمح إلى حداثة عربية سليمة تستند على جذورنا الأصيلة وقيمنا الدينية الراسخة.

- إن كان الحداثي الغربي قد انتهك المحرَّم واستباح المقدَّس بدعوى الحرية المطلقة وفق ظروفه وقيمه التي أباحت له فعل ذلك، فإنَّني أقول: إنه لا يليق بالحداثي العربي أن يسلك هذا السلوك، وليس هناك من مبرِّر يُبيح له ذلك، فنحن نرفض العالمية والحرية المشروطة بمواصفات الغرب.

– إن التعالي على الواقع والقفز فوقه أفقد الحداثيين ثقة الناس بهم؛ لأن الإبداع الصادق والعفوي مسئولية كبرى تقع على كاهل المبدعين، وهذه المسئولية يجب أن تنبع من داخل المبدع وواقعه، وليس من المغامرة في عمق المجهول.

– دعوة الحداثيين إلى أن يأخذوا بنظرة جديدة للحداثة لا تدعو لقطيعة معتقداتنا وموروثاتنا، وإنما للتواصل مع القديم الموجود فينا، وليس في المعتقدات الوثنية والإغريقية.

– إذا كنا لا نوافق الحداثيين على ما انطلقوا منه، فإن هذا لا يقودنا إلى رفض كل ما أنتجوه جملة وتفصيلًا، فهناك مَن قدَّم منهم رؤيا جميلة؛ كالسيَّاب، وغيره، ولكن فهم هذه الرؤيا عندهم يتطلب جهدًا ومعاناة؛ لكي يصل القارئ إليها، وهذا الإغراق في الغموض والرمزية لديهم كان من الأسباب الهامة– أيضًا– في صنع حاجز بين شعراء الحداثة وجمهور الشعر عامة، ونستثني منهم شعراء القضية الفلسطينية (محمود درويش، سميح القاسم).

– دعوة دعاة الحداثة وخصومها لنبذ تشدُّد وتمسُّك كل طرف برؤيته للحداثة؛ لأن المغالاة في كل أمر تقتله، والعمل على الأخذ برؤية حداثية تستلهم من ماضينا أجمل ما فيه، وتستشرف مستقبلنا الذي نطمح إليه.

وصفوة القول: فإننا ندعو شعراءنا إلى إعادة صياغة رؤيتهم للكون، وإخلاصهم في مغامرتهم؛ لأن الكثير من شعراء الحركة الحداثية- وخصوصًا في أجيالها الأخيرة- قد أصبحوا يغامرون لذات المغامرة، فوقعوا في مطبات وهنات لم نَعد نرى معها للشاعر رسالة، ولا للشعر غاية، ولا حسن ولا طلاوة.

وأختم بحثي بما يؤكد ذلك بأسطر من مستهلِّ قصيدة حديثة بعنوان (سمط الدهر) للشاعر حسن طلب، يقول فيها[1]:

جيم جمزت أم جيم بجمت؟

جيم من يأجوج ومأجوج تجخ وتأجر

جيمٌ كالجلواز الأعجر

وجهاداها: إجهاض الجيم المسجونة بين الجامع والمتجر

أم جيم تتهجى وتجاهر

جيم تتفجر

(١) حجازي، محمد عبد الواحد، **ظاهرة الغموض في الشعر الحديث**، الإسكندرية، ط١، دار الوفاء، ص ٩٨.

مراجع البحث:

أ – الكتب والمؤلفات :

– أدونيس، علي أحمد سعيد (١٩٧٧م)، **الثابت والمتحول**، ط٢، ج٣، بيروت. دار العودة.

– أدونيس، علي أحمد سعيد (١٩٨٠م)، **فاتحة لنهايات القرن**، ط١، بيروت. دار العودة.

– أدونيس، علي أحمد سعيد (٢٠٠٥م)، **زمن الشعر**، ط٦، بيروت. دار الساقي.

– أدونيس، أحمد علي سعيد (١٩٩٣)، **النص القرآني وآفاق الكتابة**، ط١، بيروت، دار الآداب.

– أركون، مُحَمَّد (١٩٩١)، **تاريخية الفكر الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي.

– ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر.

– إسماعيل، عز الدِّين (٢٠٠٠)، **الشعر العربي المعاصر**، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي.

– باروت، مُحَمَّد جمال (١٩٩٠م)، **الحداثة الأولى**، ط١، دبي، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.

– بري، مالكوم براد، **الحداثة**، ترجمة: مؤيد فوزي حسين، ١٩٩٥، حلب، مركز الإنماء الحضاري.

– جيدة، عبد الحميد، (١٩٨٠)، **الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي المعاصر**، ط١، بيروت، مؤسسة نوفل.

- الجيوسي، سلمى الخضراء، (٢٠٠٧م)، **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- حجازي، مُحَمَّد عبد الواحد، (٢٠٠١م)، **ظاهرة الغموض في الشعر الحديث**، ط١، الإسكندرية، دار الوفاء.

- حنفي، حسن، (١٩٩٨م)، **التراث والتجديد**، ط٤، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- خفاجي، عبد المنعم، (٢٠٠٢م)، **حركة التجديد، الشِّعر الحديث**، الإسكندرية، دار الوفاء.

- زايد، علي عشري، **قراءة في الشعر العربي المعاصر**، (١٩٩٨م)، القاهرة، دار الفكر العربي.

- سلطان، نبيل، **فتنة السرد والنقد**، (١٩٩٤م)، ط١، اللاذقية، دار الحوار.

- الصباغ، رمضان، (٢٠٠م)، **في نقد الشعر العربي المعاصر**، (دراسة جمالية)، ط١، الإسكندرية، دار الوفاء.

- العقَّاد، عباس محمود، (١٩٩٥م)، **اللغة الشاعرة**، القاهرة، دار نهضة مصر.

- النحوي، عدنان، (١٩٩٢م)، **الحداثة من منظور إسلامي**، ط١٠، بيروت، دار العلم للملايين.

ب: الدوريات:

- بارا، عبد الغني، **الحداثة في الخطاب النقدي**، مجلة فصول، العدد٦١، (٢٠٠٤م) .

- حمودة، عبد العزيز، **المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)**، سلسلة عالم المعرفة، أبريل ١٩٩٨.

- الزعبي، زياد، **جريدة الغد**، ١٢/ ٨/ ٢٠٠٥م/ حوار: عزيزة علي.

- سعيد، خالدة، **الملامح الفكرية للحداثة**، مجلة فصول، العدد (٣)، ١٩٨٤.

- سلسلة **مواقف**، مُحَمَّد عابد الجابري، العدد ٢٨.

- صمود، حمادي، **الحداثة في الشعر**، مجلة فصول، العدد (١)، (ندوة العدد)، ١٩٨٢.

- عبد الإله بلقزيز، **الحداثة والعرب**، مجلة المعرفة، العدد (٤٨٥)، ٢٠٠٤.

- مجلة الرافد، **مأزق الحداثة**، دائرة الثقافة والإعلام، العدد ٦٠، ٢٠٠٢.

- مجلة الرافد، **ناموس ما بعد الحداثة**، دائرة الثقافة والإعلام، العدد ٨٣، يوليو ٢٠٠٤.

ج- المواقع الإلكترونية:

-http://www.dalilkom.com/montada/showthread.php?s=43245fbce74cb8e74739c18f9acc64ee&threadid=482

-http://www.syrianservices.com/allam_rahmeh/modules.php?name=News&file=article&sid=4

-http://www.arabiyat.com/forums/showthread.php?s=&threadid=16542

-http://209.197.232.252/vb/showpost.php?p=89641&postcount=1

-http://almdares.net/vz/showthread.php?p=2186#post2186

-http://www.geocities.com/dr_mosad/index130.htm

-www.ikhwanonline.com